والوعي هنا يحدد اختيار الشخصيات والتي هي هامشية، ويحدد ايضا حدود انتاجها فنيا، اي اننا نصل اخيرا الى الاداة النظرية التي نحاكم بها الرواية والتي تشير الى ما يلي:

لقد رسم «علي فودة» القدر الفلسطيني العام بشخصيات هامشية، اي انه حاول ادخال الكلي في الجزئي مرجعا الشرط الفلسطيني في تعقده وكثافته وبساطته الى اقدار فردية بسيطة، لذلك بقي، نسبيا، يدور في هامش الواقع الفلسطيني دون ان يصل الى حركته الاساسية. اضف الى ذلك ان هذه الاقدار الفردية البسيطة لم تتطور فنيا بشكل كاف، ويعود هذا التطور الناقص الى شكل الوعي عند الكاتب سواء فيما يرتبط بالواقع او فيما يرتبط بالمفهوم الروائي للعالم. فالشخصيات في سماتها العامة شخصيات اخلاقية محكومة بنقاء وطهرانية. ان شخصية صابر مثلا تتقدم كنموذج للمحبة والصفاء، اما شخصية عبد التواب فتختار الانتحار عندما تخون، كما نرى ان «النموذج البرجوازي» لا «يخون طبقته» بسبب من تراكم الممارسة في حقل اجتماعي جديد (ارتباطه بالدولة) بل بسبب اخلاقي. وعندما نحاكم اخلاقية هذه الشخصيات فإننا لا نحاكمها ايديولوجيا بل نقاربها كمقولات جمالية، اذ ان المفهوم الاخلاقي في «المحدود» عكس نفسه على تركيب الشخصيات الفنية وجعلها شخصيات ناقصة وتتطور بقفزات. وهذا يعني ان حدود الوعي الايديولوجي عند الكاتب لم تنعكس سلبا في اختيار «النمط الاجتماعي» بل انعكست سلبا ايضا على تطوير الشخصية الروائية من حيث هي مقولة جمالية. واذا كان «علي فودة» قد ادخل الكلي في الجزئي منذ البداية فإنه عاد وارجع الصراع السياسي الى صراع اخلاقي. ان المسافة بين الموضوع ومعادله الفني جعل بنيان الرواية «مهزوزا» و «ناقصا».

انعكس «الوهم الايديولوجي» في علاقة اخرى، فالكاتب يختار «ابطالا ايجابيين» وينطقهم بلغة عدمية وعابثة لا تتوافق لا مع «ممارساتهم اليومية» ولا مع تطلعاتهم السياسية والوطنية. ان هذا الفراق بين الشخصية الروائية ولغتها يمتد ليترك آثاره على التطور العام للشخصية، ويجعلنا نتساءل عن مدى التوافق بين بداية الشخصية ونهايتها، وهنا يمكن ان نقول ان تطور الشخصيات لا يخضع الى امكاناتها الفعلية بل الى ايديولوجيا الكاتب الاخلاقية التي ترى «نهاية» الشخصية محددة من خارجها لا من داخلها. كما ان الفراق بين الموضوع ولغته يتكشف في استبدال السرد الروائي بالاختزال التاريخي كما لو كان دور الروائي هو رسم التاريخ الفلسطيني لا انتاج معادله الروائي.

إن رواية «علي فودة» «الفلسطيني الطيب» تظل ثغراتها، «شهادة ادبية» تقترب من الواقع الفلسطيني دون ان تقع في تجريد ساذج ودون ان تنسى معاناة الفلسطيني في الحفاظ على وجوده، وان هذا الحفاظ على الوجود وتحقيقه يمران بالضرورة في صراع طبقي لا يحسم ايجابا الا بنهوض القوى الديمقراطية الفلسطينية.

عصافير الشمال – علي حسين خلف:

حاول علي حسين خلف في هذه الرواية انتاج صورة روائية للنضال الوطني الفلسطيني في المناطق المحتلة. ومن اجل ذلك «رحل» بقلمه الى الداخل واستقر في قرية